التاريخية، ان جاز القول، ان الحركة الفلسطينية ستشعر يوما ما بشيء من الامتنان والشكر للاسرائيليين والبعثو ـ سوريين و «المنشقين» على «الخدمات» التي قدموها لتسريع الخروج الفلسطيني من لبنان، رغم الاساليب التي اتبعت لتحقيق ذلك. وخلاصة القول، لقد كان من الضروري الخروج من لبنان، لكي تستطيع الحركة الفلسطينية العودة الى رشدها والاتجاه بانظارها وعقلها وقلبها صوب فلسطين فعلا. ومهما كانت الطرق التي تم بها ذلك، ليس هنالك مبرر للشعور بالحزن والاسى كثيرا نتيجة لذلك الخروج؛ بل ينبغي جعله خشبة للانطلاق منه نحو فلسطين، دون غيرها.

غير انه، من ناحية ثانية، يبدو ان الفترة التي مرت منذ الخروج الفلسطيني من لبنان وحتى اليوم كانت كافية لكي يدرك معظم اللبنانيين، ان لم يكن كلهم، ان مآسيهم لم تكن كامنة في الوجود الفلسطيني بينهم، على علاته، بل انها تنبع عمليا من النظام الطائفي المهترىء والموبوء من جهة، ومحاولات السيطرة السورية والاسرائيلية عليهم من جهة اخرى. ومن المعطيات المختلفة يبدو انه من الواضح لمعظم اللبنانيين ان الخطر على استقلاليتهم كامن في محاولات النظام السوري إقامة مسرح دمى من السياسيين اللبنانيين كافة، تحركه خيوط نهايتها مربوطة في دمشق من جهة، ومحاولات اسرائيل مد نفوذها في البلد من جهةاخرى. ويبدو ان هذا الوضع الجديد، ثم ظهور المقاومة الوطنية للاحتلال الاسرائيلي، يخلقان ارضية جديدة لنشاط فلسطيني متجدد هناك، يكون هذه المرة عقلانيا وواقعيا ومنضبطا، يخدم المصالح الوطنية اللبنانية والفلسطينية سوية.

مقاومة بدون «اسنان»

ان انتهاج سياسة جديدة تجاه دول الطوق العربية لا تشكل الا نصف معادلة النشاط الفلسطيني، ويبقى هنالك النصف الآخر، الاكثر اهمية، وهو انتهاج سياسة جديدة ايضا تجاه الوطن الفلسطيني المحتل، بشطريه السكانيين: العرب واليهود.

ان نظرة سريعة الى تطور الحركة الوطنية الفلسطينية، خلال العقدين الاخيرين، تظهر ان تلك الحركة قامت وتبلورت بشكل رئيسي حول هدف مقاومة الاحتلال الاسرائيلي، حتى عرفت اختصارا باسم «المقاومة» او «المقاومة الفلسطينية». غير ان حصيلة عقدين من النشاط في هذا المجال تظهر ان المقاومة الفلسطينية في داخل الوطن المحتل، او القوى التي ساندتها وغذتها خارجه، لا تستحق هذا الاسم دون تحفظ. لقد بذلت المقاومة الفلسطينية حقا، منذ بداية نشاطها جهودا كثيرة ومتنوعة، وقدمت اعدادا كبيرة من الشهداء، الا ان حصيلة جهادها لم تكن ابدا متوازية مع حجم جهودها وتضحياتها، بل انها على العكس كانت اقل من ذلك بكثير. والادهى من ذلك هو ان انعكاسات ذلك النشاط على العدو الصهيوني، على المدى الطويل، لم تخدم القضية الفلسطينية بقدر ما الحقت بها من اضرار، في كثير من الاحيان. فلقد طرحت المقاومة الفلسطينية شعارات سياسية، اقل ما يمكن ان يقال فيها انها تخيف الاسرائيليين، ولكنها عندما توجهت لدعم طلباتها بنشاط عسكري مقاوم، لم يكن في ادائها ما يخيف ابدا. ففي احسن الاحوال وصل نشاط المقاومة الفلسطينية، من الناحية العسكرية، الى درجة اصبح معها عامل ازعاج، احيانا رئيسيا، بالنسبة للاسرائيليين، لا اكثر من ذلك. ودائما كان بالامكان، اسرائيليا، صد هذا النشاط في نهاية المطاف او القضاء عليه او احتواءه. ونتيجة لذلك تبلورت «نفسية» اسرائيلية معينة، تتشبث